

الهوية الثقافية في الشعر النسائي الجزائري المعاصر.

د/ نؤارة ولد أحمد *

جامعة مولود معمري ، تيزي- وزو.

nouara.ould_ahmed@ummtto.dz

الإرسال: 2025/05/13

القبول: 2025/05/30

النشر: 2025/06/02

الملخص: تشي أعمال الشاعرات الجزائريات المعاصرات ، برؤية واقعية مشحونة بالصور الخيالية ، تتمثل فيها الذات الشاعرة القلقة في علاقتها بذات الآخر (الرجل) ، التي تراها تمارس السلطة عليها. فيستخدم الصراع بينهما ، مليء بالجدل. فتقولها في قالب لغوي تحمل أصواته سمة الألم والندم والحسرة ، وأحيانا تشع تحديا تبين رؤية شعرية مغايرة للمألوف. إنه أمر يجعل الشعر النسائي يتسم بخصوصية في توليد الدلالة وإثبات الذات الشاعرة كعنصر فاعل تنتمي إلى مجتمع وبيئة فكرية تطالبه بتغيير انطباعه وفك وصمة الدونية عنها ، لتمكينها من اللغة وتعبيرها عن خلجات نفسها ، تثبت هويتها في مؤسسة اجتماعية وثقافية ، تهدف إلى التواصل وتجسيد ذاتها من خلال فعل الكتابة الشعرية وآليات إبداعها التي تحمل دلالات عميقة مختلفة.

الكلمات المفتاح: الكتابة النسائية ، الذات الشاعرة ، اللغة الشعرية ، الهوية.

Cultural identity in modern Algerian women's poetry.

Abstract: The oeuvre of modern Algerian poets illustrates a realistic perspective replete with imaginative imagery, wherein the poet grapples with her relational dynamics with the other (the male figure), who perceives her as exercising dominion over him. The discord between them escalates,

* المؤلف المرسل.

infused with contentious undertones. This is articulated in a linguistic framework characterized by themes of anguish, remorse, and heartbreak. At times, it emanates a defiance that reveals an alternative poetic perspective. This distinctive quality renders women's poetry particularly significant in its capacity to generate meaning and affirm the poet's identity as an active participant within a societal and intellectual milieu that compels her to transform her perception and eradicate the stigma of her perceived inferiority, thereby empowering her to articulate and convey her sentiments of identity within a sociocultural framework that aspires to facilitate her self-representation through the medium of poetic composition and its innovative mechanisms, which possess various profound implications

Key words: Practice; Female Authorship; Poetic Subjectivity; Poetic Discourse; Identity.

1- **مقدمة:** عرف المشهد الإبداعي الشعري الجزائري المعاصر ، تحولًا ملموسًا في بنيته المعمارية وتنوعًا في الأسماء الشعرية من الجنسين الرجال والنساء ، واحتدمت أثره التساؤلات النقدية حول الطبيعة الفنية للقصيدة الشعرية ورؤيتها الجمالية ، كتجربة بدأت تتشكل فرادتها وتتسع رؤيتها الشعرية داخل رحم التحولات التي عرفها التجريب الشعري الجزائري. إنه أمر جعلنا نتساءل عن كيفية تشكّل بنية هذا التجريب داخل النظام اللغوي؟ وكيف اندمجت المرأة في فن الخطاب المعاصر؟ وكيف خاضت الصراع في خضم التحولات الشعرية في الجزائر؟ وعليه تحاول هذه الدراسة الإجابة عن إشكالية تبحث في آليات الممارسة الكتابية لدى المرأة وكيفية تشكل هويتها وتحرير ذاتها لتحكي واقعها. فجاء العنوان موسومًا بـ : الممارسة الكتابية وآليات اكتساب هوية ثقافية في الشعر النسائي الجزائري المعاصر ، يحاول علاج قضية الكتابة النسوية في ظل البحث عن المغايرة ، ثم السعي إلى البحث عن آليات اكتساب الهوية وإثبات الذات النسوية من خلال تجربتها الشعرية التي شكلت فرادة هذه التجربة.

لقد سار البحث على منهجية آليات الوصف والتحليل في مساءلة الموضوع ليخرج بهدف مفاده الوصول إلى مدى اكتساب المرأة خبرة الكتابة والربط بين النص والواقع داخل نظام لغوي ، يجعل من الكتابة ممارسة دلالية ذاتية .

2. الكتابة النسوية في ظلّ البحث عن المغايرة:

إنه في خضم معركة التحولات تشكّلت تجربة الشاعرات داخل أنساق ثقافية ودلالية مختلفة ، رفع الخطاب الشعري النسائي الجزائري إلى موقع له ثقله ، ويرسم أفاقاً فنية وجمالية معتبرة في جانبها الفني ، لأنّ منطق الأدب يرفض فكرة أن يُصنّف إلى أدب الذكور وأدب الإناث ، حيث يتوافر لدى المرأة نفس الإمكانيات الإبداعية المتوافرة لدى الرجل. ولو أنّ إشكالية مصطلح "الكتابة النسوية" أثّر الاختلاف حولها ، بحكم الثقافة السائدة والضاغطة على المجتمع في رفع مركز الذكور وفق ثقافة تؤسس لنسق اعتقادي حول دونية المرأة وتبعيتها للآخر في جميع شؤونها ، إلى درجة سبق أن آمنت هي كذلك بهذا الاعتقاد. لذلك ، فالسؤال المطروح في هذا الصدد ، يتمثل في البحث عن آليات اكتساب هوية ثقافية خاصة ، بمعنى البحث في تحديد سمات ما تبدع فيه المرأة واختلافه عن إبداع الرجل. وعليه أصبح من الضروري البحث في مصطلح الكتابة النسوية ، ليتسنى الولوج إلى البحث عن آليات اكتساب هويتها الثقافية. خاصة أنّ هذا المصطلح أصابه نوع من التذبذب وعدم الاستقرار والضبط ، كـ "الأدب النسائي والأدب النسوي والأدب الأنثوي.." ، له صلة بعالم المرأة. يراه البعض نوعاً من التهميش ، يحيل إلى «إشكالية مجتمع يقبل المرأة ويرفضها وفي رفضه ينكر عليها ذاتيتها وتقربها واختلافها ، الأمر الذي يؤثر في مكانة المرأة لصالح تثبيت مكانة الرجل»⁽¹⁾ في زمن يُفترض التساوي في الواجبات والحقوق خاصة أن أهم حقوق المرأة هو التعبير عن ذاتها وحققها في بلورة رؤيتها لذاتها عبر الإبداع.⁽²⁾ في أشكاله وأجناسه المختلفة. فمفهوم الكتابة النسائية "الأنثوية" *Ecriture féminine* ، أخذ بعداً رؤيويًا ، تبدو من خلاله الإبداعات النسوية متميّزة ، تحاول التخلص من الأبوّة بانعراجها إلى الاختلاف من حيث: «لغتها التي تتميز بالعلامات والإشارات المتغيرة والمناهج المجازية وعمليات خلق المغزى المتنوعة»⁽³⁾ ، لأنها ترى أن ثمة رصيد ضخم محصور داخل اللغة ، يهدّد منطق الهوية اللغوي ، نظراً لتفاعل الإشاري والرمزي في لغتها ، إضافة إلى انعكاس ما تحمله من طبيعة خاصة بها - على كتاباتها. منها الشعر كمجال للروح والتعبير عن التجربة الشعورية. فبالرغم

من قصور حبل الإبداع الشعري مقارنة بجنس الرواية وغيرها من الأجناس. فنساء جزائريات كثيرات أبدعن فيه وعبرن عن انشغالهن من خلاله في زمن التحولات ، بلغة مميزة تحيل إلى انشغال المرأة بهوم الذات التي تشاركها الحياة ، في زمن ومكان معينين .

ولها كان الإبداع الشعري كائنا حيويًا ، يعكس ثقافة المجتمع وحالاته ، التي يعيش إثرها أفراد ودعائمه الفكرية والسياسية ، كان لابد أن ترد المرأة كطرف اجتماعي في الإبداع الشعري ، سواء كشاعرة أو كموضوع لفكرة شعرية يوردها الآخر ، كنواة ينتعش بها اشتغال القصيدة. فتمكنت المرأة أن تكون لها لغة إبداعية تعبيرية خاصة ، تعبّر من خلالها عن خلجات نفسها ، تشع أنوثة ، تحمل معاني تثبت هويتها الهادفة إلى التواصل. وبالتالي يتشكل لديها قاموس لغوي نابع من طبيعتها الداخلية بكل ما تحمله من عواطف وحساسية تتناغم فيه الكلمة بحسب الجو النفسي وتوترات الذات المبدعة أثناء ممارسة فعل الكتابة. فلا غرو إذا قلنا أن المرأة مارست الكتابة بآليات تحمل بصمات النضال من أجل البقاء وبثقافة التحدي وإثبات الوجود في مجتمع مؤثث بالتناقضات والمفارقات. وعلى الرغم من ذلك ، فحضور القلم النسوي في مجال الكتابة الأدبية لا يستهان به ، سواء على صعيد النثر أو الشعر. وما دامت دراستنا تقتصر على الخطاب الشعري ، نكتفي بذكر الأقلام النسوية الشعرية ، التي جابهت لاكتساب هوية ثقافية وتجسيد ذاتها من خلال فعل الكتابة الشعرية ، كعنصر فاعل تتمتع بالرشد في صناعة ذاتها ، منها على سبيل التمثيل لا القصر : منيرة سعدة خلخال في ديوان للريح " قالت الشجرة " ، وديوان " لا قلب للنهار " ، وخيرة حمر العين في " أكوام الجمر " ولطيفة حرباوي في شمس على مقاسي ، وسمية محنش في " مسقط قلبي " ، وربيعة جلطي في " شجر الكلام " و " من التي في المرأة " و " النية تتجلى في وضح الليل " ، ونوارة لحرش في كمكان لا يُعوّل عليه " و " أوقات محجوزة للبرد " ، و " نوافذ الوجد " .

وحنين عمر في باب الجنة " ووسيلة بوسيبي في " أربعون وسيلة وغاية .. وبعضك واحدة " ، وخالدية جاب الله في للحزن ملائكة تحرسه ، وراوية يحياوي في " كلك في الوحل يخاتل " وفي " ربّما " ، ولطيفة حساني في أغنية تشبهني " . حاولن تحطيم الحواجز ومظاهر الدونية ، التي فرضها العرف الاجتماعي ، فاخترن التركيز على سؤال الهوية الذي يشغل في علاقة المرأة بالكتابة وآليات اكتساب هوية ثقافية في خضم التغيرات والتحولات الاجتماعية ، تساعد الآخر (الرجل) ولا تعاديه في إيجاد حل لإشكالية العقم الفكري وفهم الواقع في جميع أوضاعه. وعليه نتفق مع رأي الباحثة " نعمة خالد " أنه : « ليس هناك أدب امرأة خاص منفصل

عن الأدب بشكل عام ، إنما هناك أدب رفيع وأدب هابط ، ولا فرق في ذلك أكان الكاتب رجلاً أو امرأة⁽⁴⁾. هذا من باب تصنيف الأدب. فشخصية المرأة (ذاتيتها) جعلت تجربتها تشتغل في اتجاه تمليه عفويتها وحسها ، لكن هذا لا يعني أنّ السمات التي تتوافر في الكتابة النسائية ، كاللعب اللغوي والتقديم والتأخير وتوظيف العناصر والتشكيلات الصرفية والنحوية بشكل مفارق خاص بالمرأة وحدها ، إنما هي خصائص تجمع بينها وبين الرجل في خضم تحوّل ثقافي عام ، فهي لا تحتاج إلى تبرير هويتها ، لأنّ العرف الثقافي والاجتماعي والتاريخي ، يشهد لها بالوجود والممارسة الميدانية ، تملك نفس أدوات الرجل في خوض التجربة الشعورية ، لأن الشاعر بصفة عامة «يعيد إنتاج الواقع بآليات كتابية ، تكون فيه لغته هي وعاءه المناسب الذي يستوعب السياق الاجتماعي وأكثر الأدوات المتاحة له. وتعد رؤية الشاعر سنده الذي يعطيه المقدرة على احتواء الظاهرة الاجتماعية وتعميقها جمالياً»⁽⁵⁾. وبالتالي ترتقي الكتابة النسائية إلى اكتساب الهوية الثقافية انطلاقاً من آليات إبداعها التي تميزها عن المبدعين الآخرين ، بعيداً عن الحدود الفاصلة بينها وبين الرجل ، بحيث تكون المعايير الفنية ، الفاصل في نوعية الكتابة.

إن اشتغال الكتابات النسوية بآليات تشي بهويتها الثقافية ، تتم عن طبيعة القلق ورفض الدونية إلى جانب ظروفها الاجتماعية وتفاعلها داخل المجموعة في جميع أحوالها.

2- العنوان الرئيسي الثاني:

الكتابة وآليات اكتساب هوية ثقافية:

إن إشكالية الكتابة النسوية رسخت جذورها وتشابكت مع إشكالية التلقي لدى القارئ المعاصر الذي تتموقع في ذاكرته آليات اكتساب الهوية من خلال ملامح الكتابة ، التي تعبّر - هي الأخرى عن إثبات الذات الكاتبة والقارئة في الآن نفسه. ذلك تعثر عليه المرأة في عالمها الداخلي وقوتها عند إصرارها بوجودها كأنثى تنتمي إلى مجتمع وبيئة فكرية تتقاسمها مع الرجل ، ذلك يزيدها قوة وإصراراً كمبدعة وكقلم يستجيب لمفهوم الفن ، كانعكاس للحياة ، يثبت معادلة المعنى الحقيقي لكون المرأة أنثى والرجل ذكراً والمعنى الحقيقي لكلمة إنسان⁽⁶⁾ وبالتالي تزول ظاهرة التصنيف الجنسي للأدب بدخوله عالم الأدب الإنساني ، كبديل

لأدب الرجال/النساء. فيرتبط مفهوم الكتابة بالجانب التخيلي الجمالي ، حيث اتصل بالنظرة الشمولية والتوسع الدلالي المعرفي ، ⁽⁷⁾ فتصير الكتابة ممارسة دلالية ذاتية. ويرى جاك دريدا **Jacques Derrida** إن مفهوم الكتابة يتجاوز مفهوم اللغة ، وينطوي عليه في ثناياه ⁽⁸⁾ ويتفاعل مع العناصر المتصلة باللغة ، كالفكر والوعي والتجربة في علاقتها بالبدال والمدلول ، انطلاقاً من القناعة ، التي ترى أنّ المرأة تتوافر لديها نفس الإمكانيات الإبداعية ، التي يتمتع بها الرجل. فيزول أو ينخفض الجدال القائم حول إبداعية المرأة وفعل ممارستها للنشاط الأدبي ، الذي ورثه المتلقي داخل سياق ظرفي اجتماعي. فتمكنت من توسيع مجال هويتها وتوجيه الأنظار إلى ممارستها للفعل الأدبي والفني من خلال الآليات ، التي تتخذها في رؤيتها إلى عالم الأشياء والتجريب الكتابي بابتكار طرق التعبير ، تكون في مستوى التساؤل عن الهوية ، تحقق من خلالها الفرادة. ⁽⁹⁾ فتمكن بعزيمتها من قطع حبل القطيعة والدونية والتشكيك في قدراتها وكذا تغييبها أو تهميشها. فبالرغم من صعوبة المسار في كسر هذه الطابوهات ، إلا أنّ ثمة شاعرات تمكن من كسر قيود الظن ، لكن بشق الأنفس ، ما جعلهن يأمن الدهر والظروف القاسية ، كما جاء في قول الشاعرة نواره لحرش ، في قصيدة الحياة أقصر من "قامتي من ديوان كمكان لا يعول عليه:

أُتسلق نهاري كدماتي مرتعدة

كأنّني تتكئ على شرشف الأوهام المنكهة

وفي زمهرير القشعريرة

أسقط متعثرة بما يشبه الحيات المرهقة ⁽¹⁰⁾

تبرز الشاعرة قلقها وعراكمها مع الظروف التي لا ترحمها كأنّني تتصارع مع حظها في زمن مثقل بالأعباء ، يعمها القلق والتوتر ، لكنّها مصممة على إثبات حضورها وتجليها في أرض الواقع:

لا سماء تنفتح لي ، لا أرض تتهجانني

ما بها الجهات ترتعد من قلقي ؟

ما بها الحياة أعلى من ياقة أيامي

وأقصر من قامتي؟! ⁽¹¹⁾

طرحت الشاعرة أسئلتها القلقة ، دون أن تنتظر ردا ، لأنها تبوح بنكرانها لوضعها وظروف عيشها التي تتمرد عليها. فأقامت حوارا مع ذاتها (الأنا) والأنثى و(الأنا) الصوت الآخر ، عن زمن غريب لا يرحم ، "ما بها الحياة...؟). والأمر ذاته ورد في ديوانها "نوافذ الوجع" ، حيث طرحت أسئلة لا عدد لها. من بينها:

هل حزني أرض... أم سماء..؟

هل دمعي عصافير

بملاحم الشتاء؟

هل قلبي نافذة ⁽¹²⁾

تحيل هذه القطعة إلى مساءلات تنم عن الصراع الذاتي الأنثوي ، وإشارة إلى ضجرها من سلوكيات الآخر ، فعقدت حوارا بين ذاتها و"الأنا" الشاعرة ، التي تمثل مقاما عاليا في تقرير المصير وتعديل الأمور يشي بالبعد الثقافي ، الذي تكشف عنه للمتلقي ، وتدعوه إلى قراءة مغايرة وفهم قدرتها الإبداعية قد يراها الآخر إقحاما ، فهو تقديم شخصي لذات تريد إبراز مكانتها وفرض نفسها في قدرتها على كشف الواقع. تنطلق كتابات المرأة الجزائرية من واقعها الاجتماعي بيئتها المكانية ، كمؤشر لوجودها وإثبات هويتها الثقافية. فتعبّر عنه بلغة شعرية تؤسس لعلاقة حميمية منسجمة مع هذا الواقع ، وأحيانا في علاقة تصدّع عند حدوث نفور في هذه العلاقة التي تكشفها وتتخذ موقفا منها. فتتشاكل الذات مع اللغة والوعي الفكري فهي استحضار للجسد المصلوب تحت سياط ما هو سائد وعُرفي ، كي يعلن هويته من الداخل». ⁽¹³⁾ تفصح عن رغبتها في أن تقول ذاتها عبر كتاباتها والآليات التي توظفها ، ربطتها بأهم المعتقدات التي تحيط بها. بل تعد الهواء الذي تنفسه الكتابات ، لتنمو داخل فضاء يشع بالمعنى والدلالة وإثبات الهوية ، فورود معالم الدين والهوية (الانتماء) وروح الثورة والصراع الدائم ، يمثل الدليل على وعي المرأة بما يحيطها من أبعاد ثقافية وحضارية ومتغيرات مستمرة في أجواء الحياة المعيشة. كلّها تمثل معنى شعريا يعد «ثمرة التجربة وثمره العلاقة الخصبة بين الخارج والداخل ، بحيث تتجلى الرؤية الشعرية المطلوبة على أمثل ما يكون ، فمن دون تجربة الخارج وهي تمّول الفكرة بالروح والأداء لا يمكن لتجربة الداخل أن تستقيم

وتعبر عن جوهر حقيقي ، لذا فإن تجربة الحياة التي تزود الشاعر بالكثير من إمكانات التعبير لا بد لها أن تكون في أعلى زخمها الإنساني» ،⁽¹⁴⁾ وتمتدح بحساسية شعرية عالية تتضمن مرجعية كثيفة تحمل دلالة وتعبر عن رؤية معينة ، وبالتالي تصبها المرأة في كتاباتها لتكون نصوصا شعرية كثيفة اللغة ، تحمل دلالات عميقة مختلفة .

لم تبخل الشاعرات الجزائريات في إيراد هذا النوع والاتجاه الفكري والرؤية الشعرية في مجموعاتهم الشعرية ، بحيث تحمل رؤية ذات أبعاد لها صلة بفلسفة الحياة وحكمتها. كما يتجلى ذلك في قول الشاعرة ربعة جلطي في ديوانها النبوة " تتجلى في وضوح الليل :

الإنسان..!

ذاك الجشع الخطاء ،

يقتل ، يصطاد ، يصيد ، يقطع ، يطارد..

وكأنه ملك الأرض..

عجبا

أليس يدري أنه الطفيلي الوحيد..

ألم ينزل مؤخرا ..

من الجنة..؟! ⁽¹⁵⁾

استحضرت الشاعرة نسقا ثقافيا ، داخل صورة شعرية تكشف خروقات الإنسان للعرف الديني ووجوده ككائن ضعيف ، مهما يحاول من ممارسة المغالطات. فتمكّنها من أدوات اللغة وإحساسها القوي بسلطتها (اللغة) استطاعت أن تستحضر قصة آدم عليه السلام ، لتذكّر الإنسان بأصل وجوده ومكانته ضمن هذا الوجود.

إنه بحكم كون المرأة مثل الرجل ، ككائن تتأثر بإفرازات السياق الاجتماعي والثقافي في مختلف أحواله من حيث القبول والرفض ، فإنها تملك قدرة على تصوير هذا السياق وإعادة تشكيله في كتاباتها الثورية التي تحمل موقفا ذاتيا مؤسسا على ثبات الموقف وإصرار

العزيمة ، وفق كتابة ارتقت إلى مستوى الرؤية الشعرية حيث تتجلى أحاسيس الذات الشاعرة بطريقة مغايرة خارقة للعادة ، تبينه الشاعرة ربيعة جلطي في قولها:

طلق الثورة كطلق الولادة

لا فكاك منه..

وجع ليس يُطاق..

لا مجال لاحتماله

لا مجال لوقفه أو ردّه..

كيمياء موت.. كيمياء حياة!⁽¹⁶⁾

إن رؤية المرأة إلى الثورة ، أصبحت رؤية مخالفة ، لا تفهمها إلا أنثى (والدة) ، في ربطها بالولادة. تشكّل تحولاً في طريقة التعامل مع مستجدات الحياة أو ما يسمى بالحدث الخارجي ، تفاجئ به أفق انتظار المتلقي وذهبت إلى أبعد من ذلك ، فتمكّنت من تحويل وزعزعة ثقافة المجتمع ، وتغيير رؤيته إليها ، كذات تحمل هوية ثقافية واجتماعية وكشاعرة مبدعة متمكنة من حيث اللغة والرؤية الشعرية ، وكفنانة تتقن فن التجسيد حيث تتفاعل عناصر اللغة وتشكل خصوصية في تصوير الأشياء.

تقول زينب الأعوج:

أنا

سليلة صخر إن شقوه وجدوني

أنا

زهرة الرمل أرمم دواخلي بشغف الوهم⁽¹⁷⁾

يبدو وعي المرأة منشغلاً بالمكان وعناصر الطبيعة ، كموضوع الانتماء ، الذي تسعى من خلاله إلى ترسيخ الهوية ، تحمل شعور الأسف والتحدي للعراقيل والوقوف في وجه المصاعب ، حيث تقوم بتفعيل الذات وتبرز دورها في مواجهة الراهن وتجاوز مغاليقه ، معلنة ومؤكدة حضورها من خلال ملامح الكتابة التي يكتشف المتلقي مكانتها وفعلها الإبداعي وآلياته المكوّنة للنص الشعري. وهذه الأسطر تحمل دلالات تتشكل في صورة مكثفة ، تعلن

عن صلابة الذات الفاعلة داخل مجتمع مليء بالقساوة ، لكنها تبدو كزهرة الرمل ، التي تتشكل طبيعيا داخل الرمل وتمتع بالصلابة والرونق وبالتالي تتكوّن خصوصية هذه الذات التي تشارك "زهرة الرمل" في صفاتها وخصائصها في مقاومة الواقع بأشكاله وتقلباته.

هذه هي المرأة/المبدعة ، التي تعودّ العرف الاجتماعي على مواقفها. فلقطعة مشهد إبداعي كثيف يحمل رؤية لا تطالها إلا اللغة الشعرية الرامزة الغنية بانزياحاتها التي تحافظ على الجسد وآلياته المختبئة وراء اللغة⁽¹⁸⁾. فتوظيف "الأنا" كجسد وذات فاعلة ، و "زهرة الرمل" و "دواخلي" ، إشارة إلى عناصر الجسد تمثل خصوصية المرأة المبدعة التي تدخل "الجسد" في كتاباتها لإنشاء الدلالة وتأسيس تصوّر خاص بها يشع بطاقة فاعلة تثبت هويتها.

تقول الشاعرة سمية محنش في قصيدة "تراثيل لبيدق أسير":

وأنا هناك أضربُ بضعا من دمي

والبعض منه جداول تتكشف

يا حبر قلبي ، يا خليل حكايتي

يا كل طفل يستغيثُ فيقصُفُ

سيفان في جسدي وصوت حقيقتي

أنأى ونزفك قبلة لا تُعرف⁽¹⁹⁾

تبرز هذه القطعة الطاقة الشعرية التي تملكها المرأة ، بلغة تتكون حروفها من عناصر الجسد ، التي تصبح كلمات ، يتشكل بها عالم النص ، الذي يرتقي إلى النص المفارق يايحاءاته التي تكوّنت داخل قاموس خاص بالمرأة ، يحمل سمات أنوثتها ، التي كسرت خشونة الحياة وارتقت إلى البوح والكشف.

لقد أثبتت المرأة الأدبية الشاعرة تمكّنها من الإبداع وجدارتها في الوصول إلى أعلى مقامات الإنتاج الأدبي ، كما أنها نكتب بوعي مسؤول ينم عن خصوصية الكتابة النسائية ، التي لا تكتسي طابعها الإيجابي إلا في ظلّ كتابة مسؤولة وواعية تعبر عن عمق إحساس المرأة بالجرح ، وتثير التساؤلات وتخلخل القوالب الجاهزة والأفكار المشكوكة دون إهمال لآليات اشتغال الكتابة⁽²⁰⁾ ، التي تدور رحاها حول ما له علاقة بالأدب الإنساني ككل ، يتسم بشعور

البوح وإثبات الذات عن وعي ودراية لما يجري في بيئة التحولات توصلها المرأة المبدعة في شكلها الفني الذي يرتقي إلى أوج الجمالية.

يبدو من خلال الكتابات (الشعرية) النسائية ، عامل إصرارها على اكتساب الهوية من خلال الذات الشاعرة بفرضها لوجودها الراض ، بحيث تشتغل النصوص على تقديم رؤية رفضية معينة ، تقوم عليه القصيدة في شكل قصدي لتشكيل الهوية الثقافية والاجتماعية من عمق الذات الشاعرة. كما تبدو في هذه الأسطر للشاعرة خيرة حمر العين:

وكان البحر يلطمني على وجهي بلا رحمة كأني صخرة هرمة⁽²¹⁾

خرج البحر في هذه العينة من معناه الحقيقي إلى أفق أوسع ، يتمثل في الدهر أو المجتمع وكل ما يمكن أن يعكّر حياتها ويسعى إلى تحطيمها وإشعارها بالدونية ترفض من خلالها هذا الوجود المفروض عليها ، وتسعى من خلال هذا البوح إلى بديل هذا الوجود ، يستوعب حلمها وشغفها في تواجدها ضمن واقع أفضل ، تبرز فيه حقيقة وجود الذات الشاعرة الفاعلة في جو الحرية وحضور لا يلطم ولا يحقر ولا يخذل...! تتحكم في هذا التشكيل الشعري رؤية صارمة تستدعي البديل ، تبحث عن ذاتها في زوبعة المفارقة الاجتماعية التي فرضها الواقع ، تناضل بما أوتيت من قوة إبداعية. إنها ذات انصهرت في مطبات وأهوال الأحداث ، وتفاعل "الأنا" الأنثى/الشاعرة بالذكريات مفرزة حسرة وبكاء ، لكنها تبقى باحثة عن ذاتها داخل هذا البديل المرغوب ، على النحو الذي تبدو فيه هذه الأسطر للشاعرة نورة لحرش في قولها:

أتمدّد في اللغة

معصومة من الهنات وبعض الأخطاء

أتمدّد في الذكرى

غير معصومة من الحسرة والبكاء

أتمدّد في الحياة

مطفأة المسرات

الأخطاء مهنة القلب المتكوّرة في سرير القلق

هل الحياة هي فقط مادة الإملاء؟⁽²²⁾

تبحث الشاعرة داخل أسطرها عن الممكن ، رافضة الكائن ، الذي حَبَّرَ أفقَ انتظارها ، بحيث تدخل الذات في مراقبة ما حولها بحساسية شديدة ، وتبدأ في اكتشاف كون التناقضات التي تملأ العالم ، وتؤثر على عالمها الخاص. فهي مفارقة ذات طبيعة تأملية فلسفية ، تترك الإنسان مفعماً بالشك والحيرة أمام مواضيع مرتبطة بهويته وماهية وجوده⁽²³⁾ في الحياة وتناقضاتها.

تشتغل آلية الرفض على سيرورة الحياة ، بوصفها سبب وجود الإنسان وفضاءه الواسع ، أين تجري الأحداث ، بحيث أن الفكرة الشعرية التي اشتغلت داخل هذه الآلية ، اتضحت في نهاية هذه الأسطر ، تشي بطبيعة الذات الشاعرة ، بطابعها الثقافي الأخطاء مهنة القلب". من هنا تبدو فكرة الرفض للوجود نابعة من حساسية امرأة شاعرة ، تمثل ذاتا تعيش الحيرة تربطها بهويتها الثقافية والاجتماعية ، التي ترفض الثبات والانصياع لقوة لا تعرف الإنصاف: "هل الحياة هي فقط مادة الإملاء؟". تحيل هذه الرؤية إلى تركيز الهوية الأنثوية على المحو الذي يمارسه الخطاب الذكوري ، فتأججت في وعيها فكرة إثبات الهوية الأنثوية وفرضها على الواقع ، وتؤكد رفضها بشكل مستمر على دوام الحال. لهذا جاء الاستفهام الإنكاري في خطابها الشعري في السطر الأخير من العينة.

إن محاولة المرأة الخلاص من قيود الواقع ، جعلتها تخرج من فضاءه ، الذي تراه لا يرحم ، إلى فضاء تحلم به ، تريد الارتقاء إليه مهما يكلفها ذلك ، فهذه هي طبيعة المرأة التي يقول عنها الآخر "متمردة" ، لأنها خرجت عن القاعدة التي رسمها ، وعلى هذا النحو تقول الشاعرة نعيمة نقري:

لأنني جيم الجنون

وحاء الحقيقة والحياة

والحلم

والحب

ضمدت بي "الجرح"

بين ضمة .. وسكون⁽²⁴⁾

تتحمل الذات الشاعرة " الأنثى " ، المصاعب من أجل إثبات هويتها عبر آليات الكتابة ، فأصبحت ذاتا فاعلة ، تقول ما يشغلها بلغة خاصة بها ، انتقلت من كونها "موضوعا" يصنع بها الآخر "الرجل" نصه وتسير بها أحداثه ، إلى صاحبة قرار ، تملك في يدها زمام عالم اللغة ، ويتكوّن لديها معجم لغوي تعكس دلالاته عالمها الداخلي والخارجي ، ويبرز هويتها الثقافية وطريقة اكتسابها. فيصبح النص في هذه الحال اكتشافا للذات الأنثوية من خلال آليات الكتابة ، مع العلم أنّ فلسفة الهوية لا يمكن أن تتقرّر داخل استقلالية مطلقة منعزلة في اللغة والمكان وأشكال الإبداع الفني والجمالي ، ولعلّ الشعر على نحو خاص هو المسهم الأكبر في توكيد صورة الهوية في مضمونها الشخصي الداخلي من جهة وفي علاقتها بالآخر ... بحيث تتكامل الهوية بحضور الآخر لا بتنحيته وإقصائه⁽²⁵⁾. وتبرز كذات فاعلة تحمل كيانا له قدرة التعامل مع الآخر والتواصل معه ، بالرغم من الجدل القائم!

فإذا كانت عملية إثبات الهوية ، تعني عند البعض المساواة أو التحرّر من ربة المجتمع لتحقيق الذات والبروز في ميدان المجتمع ، فإنها عند المرأة الشاعرة اكتساب لهوية ثقافية عبر إبداعها ولغتها الشعرية التي تحقق لها الخصوصية وإضفاء المعنى على وجودها واكتشاف ذاتها الحقيقية وملامسة جوهرها الإنساني. فهذه الذات ، تتأسّس عموما على أشكال من المكاشفة والاعترافات الصامتة ، التي يتداخل فيها الواقعي والمتخيل الحقيقي والحلمي⁽²⁶⁾. هذا ما يميّز الشاعرات الجزائريات اللائي تتصف كتابتهن بالتشبّه بـ"الأنا" الذات الفاعلة ، تجعل من الكتابة عالما جديدا ووعيا جديدا ، يخرجها من المألوف إلى المجهول ويحولها من القنعة والتسليم والغفلة إلى قلق السؤال ، وقلق الوعي بما يحيط بها وما يجري وراءها ولها⁽²⁷⁾ حيث تركز هويتها وتؤسّس لما تصبو إليه من بدائل في وجودها المليء بالمفارقات.

4. خاتمة:

تكشف كتابات المرأة عن أفق تجربتها وإبراز هويتها وذاتها الأنثوية في العمق. فأصبح لها مجال للروح وإعلان حريتها الإبداعية ، كما فكت أغلالها من ربة الآخر ، فاستقلت "الأنا" الشاعرة وغدت تتطلق من العالم الداخلي وتتفاعل ذاتها مع عالمها المادي الخارجي. حاربت بكل قواها الإبداعية تلك الدونية والتهميش اللذان طالها قبل تقجير شعورها وتشظي كتابتها ، التي وجدت في ظلّ أشكالها منفذا لتصوير حالها باعتماد آليات مخالفة. فمنهن من اشتغلت

على النسيج النمطي بلمسة حدائية ومغايرة مقارنة بلمسة الآخر ، لأنها بصمت في إبداعاتها خصوصيتها النسائية بأدوات لغوية خاصة ، ألبستها عباءة المعاصرة وعبأتها بالأمها ومعاناتها ورؤيتها الخاصة ، التي تستمدّها من عالمها الأنثوي ، فيتكون لديها معجماً ثقافياً أنقذها من لعنة التهميش والدونية التي نسبها لها تصوّر المرجعي. وبالذات عند إثبات هويتها التي كادت أن تفقدها ، فأسقطت نظام الموروث الثقافي العتيد ، القائل بالدونية ومحو ذات: المرأة المبدعة الشاعرة. فتوظيف "الأنا" المنتشر في جلّ قصائد الشاعرات الجزائريات في أشكالها شاملة ، ما هي سوى إثبات الذات الأنثوية ، كعنصر فاعل في التأليف الشعري ، تترجم عالمها الداخلي القلق المتوتر فأصبحت القصيدة ، يحركها هاجسها الإبداعي. وبالتالي يتلقى المتلقي نصاً مفارقاً آخر جديداً ، قد يحقق التواصل مع إبداع الآخر (الرجل) ، وليس الانفصال والانقطاع. فنصوص الشاعرة الجزائرية في شموليتها ، هي بنيات متفاعلة تُظهر جمالية النصوص التي تؤثّر لها بلمساتها الأنثوية ، من حيث تحوّلها وتمثّل الحركية في تجربتها الشعرية المفارقة ، التي توازي التجربة الرجالية من حيث الهوية والرؤية. فتبنت الممارسات الشعرية المعاصرة وسأيرت التغيّر الطارئ على النص من حيث البنية الشكلية تزامناً مع التغيير في الظروف المحيطة بالبيئة التي أصبحت أرضاً خصبة ينتعش منها الوعي الإنساني ويأخذ بثقافة الراهن التي تدعو إلى المفارقة الشكلية والجمالية. فوقفت الشاعرة الجزائرية وقفة جديرة بالاعتراف في دخولها عالم الإبداع واكتساب هوية ثقافية يسجلها التاريخ المعاصر.

5- مصادر البحث ومراجعته:

- 1- الأعوج زينب ، مرثية لقارئ بغداد الفضاء الحر ، الجزائر ، 2010.
- 2- جلطي ربيعة ، النبوة تتجلى في وضع الليل ، منشورات الاختلاف ، ط1 ، الجزائر ، 2015
- 3- حمر العين خيرة ، أكوام الجمر ، ديوان المطبوعات الجامعية ، ط1 ، وهران ، الجزائر ، 1996.
- 4- لحرش نوار ، كمكان لا يعول عليه ، منشورات الوطن اليوم ، الجزائر ، 2016.
- 5- لحرش نوار ، نوافذ الوجد ، منشورات جمعية المرأة في اتصال ، وحدة الرغبة ، الجزائر ، 2005.
- 6- محنش سمية ، مسقط قلبي منشورات الاختلاف ، ط1 ، الجزائر ، 2013.
- 7- نقري نعيمة ، كأني ... به دار ميم للنشر ، ط1 ، الجزائر 2013.

-المراجع العربية:

- 1- بلعلي أمنة ، خطاب الأنساق ، الشعر العربي في مطلع الألفية الثالثة ، الانتشار العربي ، ط1 ، بيروت ،

- 2- بن جمعة بوشوشة ، سردية التجريب وحداثة السردية في الرواية العربية الجزائرية المغاربية للطباعة والنشر ، ط1 ، تونس. 2005
 - 3- جواد محمد علي مسارات الخطاب الشعري ، التجربة والثقافة والرؤية ، دار غيداء للنشر والتوزيع ، ط1 ، عمان. 2016
 - 4- الحزى محمد ، شعرية الكتابة والجسد ، دراسات حول الوعي الشعري والنقدي ، ط1 ، بيروت ، 2005.
 - 5- درواش مصطفى ، خطاب الطبع والصنعة رؤية نقدية في المنهج والأصول - دراسة - ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق. 2005
 - 6- الزاهي فريد ، النص والجسد والتأويل ، إفريقيا الشرق ، المغرب ، 2003.
 - 7- سعدي محمد الأمين ، شعرية المفارقة في القصيدة الجزائرية المعاصرة ، دراسة ، دار فيسيرا ، 2013.
 - 8- عبيد محمد صابر ، الشعر بوصفه هوية ، من التشكيل إلى العلامة ، دار غيداء للنشر والتوزيع ، ط1 ، عمان. 2014.
 - 9- علي أحمد سعيد أدونيس ، فاتحة لنهايات القرن ، دار التكوين ، ط3 ، دمشق ، 2010.
 - 10- الغدادي عبد الله ، المرأة واللغة المركز الثقافي العربي ، ط1 ، 1996.
- المراجع المترجمة:**
- 1- دريدا جاك ، الكتابة والاختلاف ، تر : (كاظم جهاد) ، دار توبقال للنشر ، ط1 ، الدار البيضاء ، 1988.
- الرسائل الجامعية:**
- 1- مختاري فاطمة ، الكتابة النسائية ، أسئلة الاختلاف... وعلامات التحول ، مقارنة تحليلية في خصوصية الخطاب الروائي النسائي العربي المعاصر ، رسالة دكتوراه جامعة قاصدي مرباح ورقلة ، 2013/2014.
- المجلات والدوريات:**
- 1- أمل محمد عبد الواحد الخياط التميمي ، مفهوم الكتابة الأنثوية لدى نسويات ما بعد الحداثة الغربية وأثره في الخطاب النقدي العربي المعاصر ، مجلة الخطاب ع 21 جانفي 2016 ، منشورات مخبر تحليل الخطاب ، جامعة مولود معمري ، تيزي وزو ، الجزائر
 - 2- الجرמוوني نورة ، الأدب السردى النسائي وإشكالية التسمية ، مجلة الراوي ، النادي الثقافي ، جدة ، المملكة العربية السعودية ، ع 23 2010 سبتمبر
 - 3- خالد نعمة ، السؤال الجديد ، هل هناك أدب نسوي ، وما هي مواصفاته وميزاته عن أدب الرجال ، جريدة الثورة ، الملحق الثقافي ، ع 128 ، دمشق ، 1998
 - 4- العسال زينب ، مفهوم الكتابة النسوية وإشكالياته ، البيان ، العدد 356 ، مارس 2000.
- 6- الهوامش والإحالات:**
- فاطمة مختاري الكتابة النسائية ، أسئلة الاختلاف ... وعلامات التحول ، مقارنة تحليلية في خصوصية الخطاب الروائي النسائي العربي المعاصر ، رسالة دكتوراه جامعة قاصدي مرباح ورقلة 2013/2014 ، ص 2
 - زينب العسال ، مفهوم الكتابة النسوية وإشكالياته ، البيان ، العدد 356 ، مارس 2000 ، ص 117.

- أمل محمد عبد الواحد الخياط التميمي ، مفهوم الكتابة الأنثوية لدى نسويات ما بعد الحداثة الغربية وأثره في الخطاب النقدي العربي المعاصر ، مجلة الخطاب ، ع21 ، جانفي 2016 ، منشورات مخبر تحليل الخطاب ، جامعة مولود معمري ، تيزي وزو ، الجزائر
- نعمة خالد ، السؤال الجديد ، هل هناك أدب نسوي ، وما هي مواصفاته وميزاته عن أدب الرجال ، جريدة الثورة ، الملحق الثقافي ، ع 128 ، دمشق ، 1998 ، ص5
- مصطفى درواش خطاب الطبع والصناعة ، رؤية نقدية في المنهج والأصول - دراسة - اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، 2005 ، ص194
- ينظر : عبد الله الغدامي ، المرأة واللغة ، المركز الثقافي العربي ، ط 1 ، الدار البيضاء ، 1996 ، ص 54.
- ينظر: محمد الحرز ، شعرية الكتابة والجسد ، دراسات حول الوعي الشعري والنقدي ، ط1 ، بيروت ، 2005 ، ص 57.
- جاك دريدا ، الكتابة والاختلاف تر (كاظم جهاد ،) دار توبقال للنشر ، ط1 ، الدار البيضاء ، 1988 ، ص 107.
- ينظر: علي أحمد سعيد أدونيس ، فاتحة لنهايات القرن ، دار التكوين ، ط3 ، دمشق ، 2010 ، ص 241.
- نورة لحرش ، كمكان لا يعول عليه ، منشورات الوطن اليوم ، الجزائر ، 2016 ، ص 18
- المصدر نفسه ، ص 20.
- نورة لحرش ، نوافذ الوجد منشورات جمعية المرأة في اتصال ، وحدة الرغبة الجزائر ، 2005 ، ص 62.
- فريد الزاهي ، النص والجسد والتأويل ، إفريقيا الشرق ، المغرب ، 2003 ، ص13.
- محمد جواد علي ، مسارات الخطاب الشعري ، التجربة والثقافة والرؤية ، دار غيداء للنشر والتوزيع ، ط1 ، عمان ، 2016 ، ص15.
- ربيعة جلطي ، النبوة تتجلى في وضوح الليل ، منشورات الاختلاف ، ط1 ، الجزائر ، 2015 ، ص 62.
- المصدر نفسه ، ص 63.
- زينب الأعوج ، مرثية لقارئ بغداد الفضاء الحر ، الجزائر ، 2010 ، ص38.
- آمنة بلعلي خطاب الأنساق ، الشعر العربي في مطلع الألفية الثالثة ، الانتشار العربي ، ط1 ، بيروت ، 2014 ، ص257.
- سمية محنش ، مسقط قلبي منشورات الاختلاف ، ط1 ، الجزائر ، 2013 ، ص 28 ، 29.
- نورة الجرموني ، الأدب السردى النسائي وإشكالية التسمية مجلة الراوي ، النادي الثقافي ، جدة ، المملكة العربية السعودية ، ع 23 ، سبتمبر 2010 ، ص 83.
- خيرة حمر العين ، أكوام الجمر ، ديوان المطبوعات الجامعية ، ط1 ، وهران ، الجزائر ، 1996 ، ص11.
- نورة لحرش ، كمكان لا يعول عليه ، ص 24 ، 25.
- محمد الأمين سعدي ، شعرية المفارقة في القصيدة الجزائرية المعاصرة ، دراسة ، دار فيسيرا ، 2013 ، ص43.
- نعيمة نقري ، كأي به ، دار ميم للنشر ، ط1 ، الجزائر ، 2013 ، ص33.

- محمد صابر عبيد الشعر بوصفه هوية ، من التشكيل إلى العلامة ، دار غيداء للنشر والتوزيع ، ط1 ، عمان ، 2014 ، ص24.
- بوشوشة بن جمعة سردية التجريب وحدثات السردية في الرواية العربية الجزائرية المغاربية للطباعة والنشر ، ط1 ، تونس ، 2005 ، ص75.
- عبد الله الغدامي ، المرأة واللغة ، ص135.